

## المحاضرة السابعة النظرية السلوكية

ترتكز النظرية السلوكية Behavioral theory<sup>(١)</sup> على ما يستلزمه استعمال اللغة (في الاتصال)، وتعطي اهتمامها للجانب الممكن ملاحظته علانية، وهي بهذا تخالف النظرية التصورية التي ترتكز على الفكرة أو التصور<sup>(٢)</sup>.

والسلوكية بوجهٍ عام تقوم على جملة أُسس منها:

١. التشكك في كل المصطلحات الذهنية، تمثل العقل والتصوير والفكرة، ورفض الاستنباط كوسيلة للحصول على مادة ذات قيمة في علم النفس. ويجب على عالم النفس أن يقصر نفسه على ما يمكن ملاحظته مباشرةً، وذلك بأن يعنى بالسلوك الظاهر، وليس بالحالات والعمليات الداخلية.

وتطبيق ذلك على اللغة يعني التركيز على الاحداث الممكن ملاحظتها وتسجيلها، وعلى علاقتها بالموقف المباشر الذي يتم إنتاجها فيه. ومن هنا أطلق بعضهم على اللغة مصطلح السلوك النطقي Verbal Behavioral، أو السلوك اللغوي Language Behavioral. كما يعني معالجة الفكرة كسلوك، والتخلي عن مفاهيم مثل الإدراك والاحساس والشعور.

٢. اتجاهها الى تقليص دور الغرائز والدوافع والقدرات الفطرية الأخرى، وتأكيدها على الدور الذي يلعبه التعلم في اكتسابه النماذج السلوكية، وتركيزها على التربية أكثر من الطبيعة، ونسبة الشيء للبيئة، والشيء القليل للوراثة.

---

(١) تسمى كذلك النظرية النفسية Psychological theory (أنظر Foundations، ص ١٧٥).

(٢) Theories of Meaning، ص ٣٦.

٣. اتجاهها الآلي أو الحتمي الذي يرى أن كل شيء في العالم محكوم بقوانين الطبيعة.

٤. أنه يمكن وصف السلوك عند السلوكيين على أنه نوع من الاستجابات Responses لمثيرات Stimuli ما تقدمها البيئة أو المحيط Environment والشكل الذي يستعمل عادة لتمثيل العلاقة بين المثير والاستجابة هو:

م ← س

وقد قبل بلومفيد اتجاهين عامين في مذهبه السلوكي:

١. عدم الثقة في العقلية.
٢. إيمان بالحتمية التي كثيراً ما أُشير إليها بالوضعية Positivism والفيزيقية Physicalism.

والمثال الذي ضربه بلومفيد للحدث الكلامي Speech-Event كان كما يأتي:

جاك وجيل سائران في الطريق - ترى جيل تفاحة على شجرة - وبما أنها جائعة تسأل جاك أن يحضرها لها - يتسلق جاك الشجرة ويعطيها التفاحة - تأكل جيل التفاحة.

ولكن لم يسلم هذا التفسير كذلك من الاعتراض:

١. فمن الممكن أن توجد جملة مثل: ((ابنك مريض)) ميلاً أو نزعاً عند السامع للذهاب الى ابنه حيث يوجد. ولكن جملاً أخرى تخرج عن دائرة الاهتمام العملية الفورية لا تستطيع أن توجد هذا الميل.

٢. وحتى جملة: ((ابنك مريض)) لن تخلق الميل أو النزعة نحو الذهاب إليه إلا إذا كان الشخص يولي ابنه اهتماماً، وإلا إذا اعتقد بصدق المتكلم، وإلا إذا كان الخبر جديداً بالنسبة له. وحتى مع تحقيق هذه الشروط قد لا يحدث الميل بالضرورة. إذ قد يكون السامع في سجن، أو يكون في لحظة حرجة تؤثر على مستقبله السياسي أو الاقتصادي، أو يكون ممتعاً عن السفر لسبب ديني أو اعتقادي إلى مكان معين، أو في يوم معين (وبخاصة أن الخبر لم يكن: ابنك مريض جداً). وغير ذلك من الأسباب التي لا تنتهي. ومن غير المعقول أن نقول إنَّ عبارة: ابنك مريض سوف تخلق لدى السامع في الذهاب إذا كان ابنه محل الاهتمام الكبير، وكان السامع يعتقد في صدق المتكلم، وكان الخبر جديداً على السامع، وإذا لم يكن هناك مانع جسدي أو ديني من الذهاب... وإذا لم يكن... وما أظنُّ أننا يمكننا حصر القائمة.

٣. كذلك إذا كنا سنسمح لأي نزعة أن تكون مرتبطة بمعنى الجملة فإننا سنغرق في أشياء لا علاقة لها بالمعنى. أفترض أن شخصاً قال: ((الشمس تبعد عن الأرض بمقدار ٩٧ مليون ميل))، فأثارت هذه العبارة نزعة عند شخص ليفتح فمه في تعجب، فمن الواضح أنَّ هذه النزعة، وهذا التعجب لا علاقة لهما بمعنى الجملة. وتقرير ما إذا كانت ((الاستجابة)) وثيقة الصلة بالجملة أو لا نقطة ضعف في النظرية السلوكية بعامة، وفي تفسير Morris بخاصة.

٤. وأخيراً فإنَّ ((نظرية الميل)) فشلت في أن تثبت أنه يوجد ميل معين مرتبط بمعظم الكلمات والمنطوقات يحكم سلوكنا اللغوي اليومي. ولم تستطع أن تقدّم لنا ملامح سواء من المواقف أو الميول أو الاستجابات موزعة بالشكل الذي

تقتضيه النظرية. فالمعنى لا يتنوع بصورة مباشرة مع انواع العوامل التي سلط عليها الضوء في هذه النظرية بتقسيماتها المختلفة<sup>(١)</sup>.

---

(١) Semantic: Lyons ، ١٣٤/١ وما بعدها؛ و Semantic: Leech ، ص٧٤؛ و Theories of: Alston Meaning ، ص٣٩ وما بعدها.